المجلد 30، العدد 59، شعبان 1447هـ / يناير 2026م

التجديد

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة

بحوث ودراسات

- جريمة الاعتداء على المال العام في الفقه والقانون النافذ في فلسطين — سليم علي الرجوب، سمير محمد عواودة
- زيادات ابن السُّبْكيّ ومخالفاته في "جَمْع الجَوامِع" على "منهاج الوصول" للبيضاوي في مسائل الأمْر — إدريس بن أحمد بن سالم المعيني، محمد سعيد بن خليل المجاهد
- القيادة والوعي في المنهج الدعوي النبوي: دراسة في مقومات التأثير الدعوي المعاصر — سيف بن سالم بن سيف الهادي
- مقاصد الإفتاء: دراسة في المصطلح والأصول والضوابط والتطبيقات في المستجدات المصرفية — محمد عبد الله راشد البذالي
- اعتراضات هارون بن موسى القرطبي (401هـ) على المبرِّد (285هـ) في نقوده على سيبويه (180هـ): عرض وتحليل — مهنَّد عمر رنَّة
- تطبيقات المعيار الذاتي في نظرية التعسف في استعمال الحق وفقاً للقانون المدني الأردني: عرض وتحليل — ياسمين محمد خالد منصور
- توظيف عادات القرآن الكريم في تفسير الآيات عند طه جابر العلواني — طوبى يلديزباكان، زياد الدغامين
- عبد الحسين العُبَيدي وموقفه من صحيح البخاري في كتاب: "جولة في صحيح البخاري: حوار بين النقل والعقل": دراسة تحليلية تقويمة للأحاديث المتّهمة بقصص خيالية طريفة — عدي حزمي بن محمد روسلي
- منهج الإصلاح في رسالات الأنبياء لمواجهة الفساد: دراسة قرآنية تحليلية — زبير سلطان

ISSN 1823-1926

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

التَّجْدِيد

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد الثلاثون	شعبان 1447هـ / يناير 2026م	العدد التاسع والخمسون

رئيسة التَّحرير

أ. د. رحمة أحمد الحاج عثمان

مدير التَّحرير

د. منتهى أرتاليم زعيم

المحرر المشارك

د. نور سفيرة بنت أحمد سفيان

د. محمد أنور بن أحمد

المحرر اللغوي

د. عبد الرَّحمن بن عبد الكريم العثمان

هيئة التَّحرير

أ. د. أحمد إبراهيم أبو شوك

أ. داتين د. روسني حسن

أ. د. محمد أكرم لال دين

أ. د. يمنى طريف خولي

أ. د. عاصم شحادة علي

أ. د. فؤاد عبد المطلب

أ. د. محمد أوزشنل

أ. د. علي صالح الشايع

أ. د. أكمل خضيري عبد الرحمن

أ. د. أحمد راغب أحمد محمود

أ. م. د. عبد الرحمن حللي

د. عبد الرحمن الحاج

د. مروة فكري

د. همام الطباع

الهيئة الاستشارية

محمد داود بكر ـــــ ماليزيا — عبد الرحمن بودرع ـــــ المغرب

فتحي ملكاوي ـــــ الأردن — عبد المجيد النجار ـــــ تونس

محمد بن نصر ـــــ فرنسا — علي القرة داغي ـــــ العراق

محمود السيد ـــــ سوريا — عبد الخالق قاضي ـــــ أستراليا

محمد الطاهر الميساوي ـــ تونس — داود الحدابي ـــــ اليمن

مجدي حاج إبراهيم – ماليزيا — نصر محمد عارف ـــــ مصر

وليد فكري فارس – مصر

Advisory Board

Mohd Daud Bakar, Malaysia — Abderrahmane Boudra, Morocco

Fathi Malkawi, Jordan — Abdelmajid Najjar, Tunisia

Mohamed Ben Nasr, France — Ali al-Qaradaghi, Iraq

Mahmoud al-Sayyed, Syria — Abdul-Khaliq Kazi, Australia

Mohamed El-Tahir El-Mesawi, Tunis — Dawood al-Hidabi, Yemen

Majdi Haji Ibrahim, Malaysia — Nasr Mohammad Arif, Egypt

Waleed Fekry Faris, Egypt

© 2026 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

ISSN 1823-1922 & eISSN: 2600-9609 الترقيم الدولي

Correspondence مراسلات المجلة

Managing Editor, *At-Tajdid*
Research Management Centre, RMC
International Islamic University Malaysia
P.O Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6421-5074/5541
E-mail: tajdidiium@iium.edu.my
Website: https://journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/Tajdid

Published by:
IIUM Press, International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Phone (+603) 6421-5014, Fax: (+603) 6421-6298
Website: http://iiumpress.iium.edu.my/bookshop

الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

The views published in the journal represent the opinions

التجديد

مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المجلد الثلاثون **شعبان 1447هـ / يناير 2026م** **العدد التاسع والخمسون**

المحتويات

كلمة التَّحرير	رئيس التحرير	8-5
بحوث ودراسات		
▪ جريمة الاعتداء على المال العام في الفقه والقانون النافذ في فلسطين	سليم علي الرجوب سمير محمد عواودة	46-9
▪ زيادات ابن السُّبْكيّ ومخالفاته في "جَمْع الجَوامِع" على "منهاج الوصول" للبيضاوي فِي مسائل الأمْر	إدريس بن أحمد بن سالم المعيني محمد سعيد بن خليل المجاهد	66-47
▪ القيادة والوعي في المنهج الدعوي النبوي: دراسة في مقومات التأثير الدعوي المعاصر	سيف بن سالم بن سيف الهادي	108-67
▪ مقاصد الإفتاء: دراسة في المصطلح والأصول والضوابط والتطبيقات في المستجدات المصرفية	محمد عبد الله راشد البذالي	138-109
▪ اعتراضات هارون بن موسى القرطبي (401هـ) على المبرّد (285هـ) في نقوده على سيبويه (180هـ) عرضٌ وتحليلٌ	مهنَّد عمر رنَّة	169 -139
▪ تطبيقات المعيار الذاتي في نظرية التعسف في استعمال الحق وفقاً للقانون المدني الأردني: عرض وتحليل	ياسمين محمد خالد منصور	194 -171
▪ توظيف عادات القرآن الكريم في تفسير الآيات عند طه جابر ا العلواني	طوبى يلديزباكان زياد الدغامين	224-195
▪ عبد الحسين العُبَيدي وموقفه من صحيح البخاري في كتاب: "جولة في صحيح البخاري: حوار بين النقل والعقل": دراسة تحليلية تقويمة للأحاديث المتّهمة بقصص خيالية طريفة	عدي حزمي بن محمد روسلي	262-225
▪ منهج الإصلاح في رسالات الأنبياء لمواجهة الفساد: دراسة قرآنية تحليلية	زبير سلطان	312-263

ترتيب البحوث في المحتويات حسب وصولها واستكمالها

Arranging the research papers in the contents according to their arrival and completion

بحوث ودراسات

التجديد

المجلد 30، العدد 59
شعبان 1447هـ/ يناير 2026م، ص 67-108
حقوق الطبع محفوظة لـ IIUM Press
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
International Islamic University Malaysia
ISSN: 1823-1926 (Print)
eISSN: 2600-9609 (Online)

القيادة والوعي في المنهج الدعوي النبوي: دراسة في مقومات التأثير الدعوي المعاصر

Leadership and Awareness in the Prophetic Da'wah Methodology: A Study of the Components of Contemporary Da'wah Influence

سيف بن سالم الهادي *

[قُدّم للنشر 2025/8/20 – أُرسل للتحكيم 2025/8/28م – قُدّم بعد التعديل 2026/1/4م - قُبل للنشر 2026/1/6م]

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المنهج الدعوي في السيرة النبوية من خلال دراسة تحليلية لبناء شخصية الداعية، انطلاقًا من نموذج النبي محمد ﷺ في تبليغ الرسالة ومواجهة التحديات. تنبع إشكالية البحث من التساؤل عن الصفات الجوهرية التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية المسلم ليكون مُؤثِّرًا وناجحًا في كل زمان ومكان، وكيف يمكن استلهام هذه الصفات من السيرة النبوية لمعالجة إشكالات الواقع الدعوي المعاصر؟ هَدَف البحث إلى تحليل الصفات القيادية، والتأهيلية، وصفات الوعي الميداني، والصفات الأخلاقية التي شكّلت الأساس في نجاح الدعوة النبوية، مع تقديم نموذج عملي يمكن للدعاة المعاصرين الإفادة منه. لقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع المواقف النبوية، إلى جانب المنهج النقدي في ربط تلك الصفات

* 8 أستاذ مساعد، كلية التربية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان.
البريد الإلكتروني: s.alhadi@squ.edu.om

بواقع العمل الدعوي الراهن. توصل البحث إلى جملة من النتائج؛ أبرزها: أن نجاح الدعوة لا يتحقق بمجرد امتلاك المعرفة الشرعية، بل يتطلب بناءً متكاملًا لشخصية الداعية يقوم على الثبات على المبدأ، والصبر، والقيادة الواعية، وفهم طبيعة الاختلاف، والالتزام بالأخلاق الدعوية. كما خلص إلى أن الوعي الميداني، ومراعاة أحوال المدعوين؛ يمثلان عنصرَيْن حاسمَيْن في تجديد الخطاب الدعوي، وتعزيز أثره، وأن العودة إلى المنهج النبوي كفيل بتجاوز كثير من مظاهر الخلل في الواقع الدعوي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: القيادة، الصبر، الوعي الميداني، الأخلاق، الثبات، المحبة، التعايش.

Abstract

This study examines the da'wah methodology in the Prophetic biography through an analytical investigation of the formation of the preacher's character, drawing on the model of the Prophet Muḥammad ﷺ in conveying the divine message and confronting challenges. The research problem arises from the question of the essential qualities that a Muslim preacher must possess in order to be effective and successful across different times and contexts, and how these qualities may be derived from the Prophetic biography to address the challenges of contemporary daʿwah practice. The study aims to analyse the leadership qualities, formative and professional competencies, situational awareness, and ethical attributes that constituted the foundation of the success of the Prophetic mission, while presenting a practical model from which contemporary preachers may benefit. The research adopts an inductive–analytical approach in tracing Prophetic practices, alongside a critical approach that relates these qualities to the realities of present-day daʿwah work. The study arrives at several key findings, most notably that the success of daʿwah cannot be achieved solely through the possession of religious knowledge; rather, it requires the comprehensive development of the preacher's character, grounded in steadfastness to principles, patience, informed leadership, an understanding of the nature of differences, and adherence to ethical standards in da'wah. It further concludes that situational awareness and sensitivity to the conditions of the audience constitute two decisive elements in renewing daʿwah discourse and enhancing its impact, and that a return to the Prophetic methodology is capable of addressing many of the deficiencies evident in contemporary daʿwah practice.

Keywords: leadership; patience; situational awareness; ethics; steadfastness; compassion; coexistence.

مقدّمَة

أراد الله تعالى –بحكمته– أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، يمثل بأفعاله الصفات الإلهية الكريمة، وينشر بين بني جنسه والكائنات التعايشَ والسلامَ، ويمثل بالنسبة للحياة كلها مصدرًا للأمان، وتم إعلام الملإ الأعلى بهذا الاستخلاف، وقدمت الملائكة قراءة مبكرة لمستقبله الكئيب، لكن الله تعالى بحكمته بيّن للملائكة القدرة العلمية التي سيتجاوز بها الإنسان طبيعته الأنانية، وتمحوُره حول ذاته، فوضعه أمام اختبارين؛ تجاوز أولهما لأنه استخدم العقل المسدد: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33]، وأخفق في الثاني لأنه استنطق النفس والشيطان: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]، فتأكد للإنسان أن الركون إلى النفس والشيطان سيكون مصدرا للألم طوال التاريخ، وأن سبيل السعادة والنجاح سيكون في العقل المسدد.

ولكن تباعد الزمن وانقطاع الوحي، سيدفع بالإنسان إلى استخدام العقل من دون تسديد، فيصوِّر الألوهية بالقياس إلى ملوك الأرض، ويفترض أنها متعددة تتصارع، أو أنه ربٌّ لا دخْل له في حياة الإنسان، وبهذا التصور يفقد الإنسان قدرة الاتصال بالمطلق، وتنتهي فطرية الإلهام من الله، فيجعل القِيَم العليا إنتاجًا بشريًّا غير ملزم، والأخلاق اختيارًا نسبيًّا من حيث العمل، وإن كانت مطلقة من حيث دلالة العقل.

لكن الله تعالى –الذي خلق الإنسان– لم يتركه هَمَلًا، ولم يدعْهُ لأهوائه والشيطان: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، فأرسل إليه الرسل بالتشريعات والتذكير، وحذَّره من الانحراف والركون إلى الشهوات، وبشَّره بسعادة الاتباع: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123]، وكابد الأنبياء في البلاغ والتذكير، وواجهوا موجات شرسة من التحدي والاستكبار، وتعرض بعضهم للإيذاء والقتل.

والتف حول كل نبي عددٌ من الدعاة يواصلون الكفاح، ويجاهدون في سبيل الله، ويحفظون عن أنبيائهم القيم والأخلاق، ويواصلون امتداد دعوتهم دون كلل أو ملل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 146]، وكلما مضى زمنُ نبيٍّ؛ أعقبه نبيٌّ آخر؛ حتى بعث الله نبينا ﷺ ليحمل الخطاب الأخير إلى البشرية، وينتهي بمبعثه قطار الأنبياء. لكن الذي لم ينته –ولن ينتهي– هي مهمة الأتباع الذين يحملون الدعوة من بعده، ويبلغونها طول التاريخ للناس، وهي المهمة التي وُصفت هذه الأمة بها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وأعلن النبي ﷺ في حجة الوداع عن تكليف عام للمسلمين؛ بتبليغ الدعوة دون عذر لأحد، حتى ولو كان لا يملك من المعرفة سوى آية، وانطلق الصحابة مبشرين ومنذرين، يتحدثون أمام الأمم عن امتداد البعثة بهم؛ فوقف رِبعيٌّ بن عامر أمام رُسْتُم، يشرح مهمة التبليغ، وأن الذي بعث محمدًا ﷺ هو الذي بعث صحابته وأتباعه: "نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد".

بيد أن الدعاة المسلمين –بعد تطاول الزمن، وتشابك الأحداث، وتقهقر الأمة عن القيادة– أصبحوا بحاجة إلى التذكير بصفات الداعية الضرورية التي تتضمن تبليغا رحيمًا، كما بُعث رسول الله ﷺ، وتفرض على الداعية أن يكون حصنًا للإسلام لا يؤتى إليه منه، ولا يقدم ذريعة للمبلغين في انتقاد الدين، كما تفرض عليه أن تكون الدعوة بالنسبة له هي الإسلام كله، الإسلام الحضاري والأخلاقي، والتشريعي، والسياسي، والثقافي، وليس إسلامًا وَديعًا لا شأن له بالحياة.

في هذه الورقة محاولة قرائية لسيرة النبي ﷺ في تبليغه للدعوة، والصفات التي كان حريصًا عليها في نفسه وصحابته، والتي كان يوصي بها في الأحداث والمناسبات، وبها تشكل الفريق الأول من الدعاة المسلمين، وهي تدور في مجملها حول:

- الصفات القيادية
- الصفات التأهيلية
- صفات الوعي الميداني
- الصفات الأخلاقية

يتفرع عن كل صفة من هذه الصفات مجموعة من التعليمات الضرورية لتعزيزها وطريقة الحفاظ عليها؛ حتى يشتدَّ بها عود الدعوة، وتقوى بها جوانب العطاء والتبليغ. وقد اعتمد البحث –بعد الله– في هذا الاستقراء الناقص على استنتاجات الباحث وقراءته للواقع الدعوي، إضافة إلى مراقبته للميدان الدعوي في عصرنا الحاضر، واحتياجاته لاستدعاء هذه الصفات والحفاظ عليها والانطلاق منها. لربما سيجد القارئ اجتهادات يختلف معها، لكنها ستمثل –بالنسبة له– فرصة للحوار والمراجعة والنقد، ولا تتقدم العلوم والمعارف إلا بهذا النوع من الحوار العلمي والنقد البناء. والله أسأل أن يوفقنا جميعًا للدعوة في سبيله، وأن يجعلنا من الذين يتبعون أحسن القول، ويختارون أرحم الطرق، وأكثرها تأثيرًا في أنفسنا والمخاطبين، إنه سميع مجيب.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في طرح هذا التساؤل: ما الصفات الجوهرية التي يجب أن يتحلى بها الداعية المسلم في كل زمان ومكان حتى يكون مؤثرًا ومقبولا في دعوته؟ وكيف يمكن استلهام هذه الصفات من سيرة النبي ﷺ لتجاوز تحديات الواقع الدعوي الحديث؟

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الضرورية التي يراد للداعية أن يقف عليها:

1. تحليل صفات الداعية الناجح من خلال دراسة سيرة النبي محمد ﷺ.

2. استخلاص المبادئ القيادية والتأهيلية والأخلاقية من واقع السيرة النبوية لتكوين شخصية دعوية مؤثرة.
3. تقديم نموذج عملي للدعوة الإسلامية يمكن للدعاة المعاصرين الاقتداء به.
4. ربط الماضي الدعوي بالحاضر الميداني عبر مقارنة حاجات العصر بصفات الجيل الأول من الدعاة.

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث في تسليط الضوء على زوايا مهمة في النظر الدعوي، والانتباه إلى القضية الإيمانية في مسيرة التبليغ، ويمكن حصرها في الآتي:

1. تجديد الخطاب الدعوي على ضوء فهم أصيل للسيرة النبوية.
2. مواجهة الانحرافات في أساليب الدعوة الحديثة من خلال العودة إلى النموذج النبوي.
3. تمكين الدعاة من أدوات عملية ومفاهيمية تساعدهم في أداء رسالتهم بوعي وثبات.
4. المساهمة في بناء خطاب إسلامي متكامل يجمع بين القوة الأخلاقية والوعي الميداني.

الدراسات السابقة

1- المنهج الدعوي في السيرة النبوية للدكتور: محمد أبو فارس[1]، تناولت هذه الدراسة الأسس العامة للدعوة في السيرة النبوية، مثل: التدرج، الحكمة، مراعاة حال المدعوين، وأساليب الخطاب القرآني والنبوي. كما اعتمد أيضًا على السيرة النبوية بوصفها مرجعًا أصيلًا للمنهج الدعوي، وركّزت هذه الدراسة على الأسلوب الدعوي، بينما ركز الباحث في دراسته هنا على بناء شخصية الداعية القيادية، التأهيلية، النفسية، الأخلاقية. كما أن دراسة أبو فارس لم تعالج مفهوم الوعي الميداني بوصفه محورًا مستقلًا كما في بحثنا.

[1] أبو فارس، محمد أحمد، **المنهج الدعوي في السيرة النبوي** (عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1998).

2- صفات الداعية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور عبد الكريم بكار[1]، بحثَت هذه الدراسة في الصفات الإيمانية والأخلاقية والعلمية التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية، إلا أن هذه الدراسة نظرية معيارية، في حين أن بحثنا تحليلي تطبيقي، يستحضر الواقع الدعوي المعاصر. كما أن الدكتور لم يقسّم الصفات إلى منظومة متكاملة (قيادية – تأهيلية – وعي ميداني – أخلاقية) كما فعلنا هنا.

3- القيادة النبوية وأثرها في نجاح الدعوة الإسلامية للدكتور علي محمد الصلابي[2]، تناول فيها القيادة في شخصية النبي ﷺ، وأثرها في بناء الدولة، ونجاح المشروع الدعوي والسياسي، كما ركز على البعد القيادي في السيرة النبوية، إلا أن الدراسة انصبت على القيادة السياسية والإدارية، بينما بحثنا يركّز على القيادة الدعوية التربوية، كما أنه – أي بحثنا– أوسع من حيث ربط القيادة بالأخلاق، والوعي الميداني، والتزكية النفسية.

4- فقه الدعوة ومراعاة الواقع للدكتور يوسف القرضاوي[3]، وقد انبنت هذه الدراسة على ضرورة فقه الواقع، والتدرج، ومراعاة اختلاف البيئات والثقافات في العمل الدعوي، لكنها ذات طابع فقهي تنظيري، بينما بحثنا سيكون تطبيقيًّا، ينطلق من النموذج النبوي مباشرة، إضافة –كما ذكرنا سابقًا– إلى ربط الوعي الميداني بالبناء النفسي.

منهج البحث

يتبع البحث الحالي المنهج الوصفي في تقديم رؤية تنظيمية لصفات الداعية وتقسيمها إلى مباحث ومطالب. والمنهج الاستقرائي التحليلي عبر تتبع صفات النبي ﷺ في الدعوة، واستقراء المواقف النبوية لاستخلاص القيم والمهارات. والمنهج النقدي من خلال ربط تلك الصفات بالواقع الدعوي المعاصر، وتحليل جوانب القصور، وقد تمثل

---

[1] بكار، عبد الكريم، **صفات الداعية في ضوء القرآن والسنة** (الرياض: دار القاسم، ط1، 2001م).

[2] علي محمد الصلابي، **القيادة النبوية وأثرها في نجاح الدعوة الإسلامية** (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2004م).

[3] يوسف القرضاوي، **فقه الدعوة ومراعاة الواقع** (القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1995م).

النقد في ملاحظة التجاوزات الأخلاقية في التبليغ الدعوي، أو في تحويله إلى هوية صلبة، وليس إلى توعية وتزكية.

المبحث الأول: الصفات القيادية

المطلب الأول: المعنويات والوسائل

لا تنجح أي دعوة ما لم تكن هدفا استراتيجيا للداعين، سواء أرادوا منها نصرة لمبدأ أو نصرة لشعب، وحالما فقدوا في مراحل التبليغ أو التنفيذ جذوة الحماس تراجع مدها وتضاءل عدها، وبدت وكأنها عبء ثقيل. كان موسى –عليه السلام– يحث قومه على تجاوز ظلم فرعون من خلال تبني الرسالة الإلهية، فهي الوحيدة التي تمتلك خارطة الطريق، وبها من الحكمة والتأييد الإلهي ما يضمن خروجًا آمنًا وسليمًا لبني إسرائيل: ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: 47]، لكن القوم لم يكونوا على ثقة بهذه الدعوة، ولم تكن لديهم رغبة حقيقية في التخلص؛ فبعد تكهن فرعون بالهدف الذي جاء به موسى عليه السلام: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: 110]؛ أيقن أن الخطة ستسير في إعلاء شأن بني إسرائيل، وإنقاذهم من حالة التردي والذبول، فقرر أن يشد من وطأة العذاب، ويواصل مسلسل الإجرام القديم: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127]، عندها شعر المدعوُّون من بني إسرائيل أن دعوة موسى –عليه السلام– ليست أفضل حالًا ولا مآلًا من الحال مع فرعون؛ فخرجوا يعبرون عن اليأس القنوط: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: 129]

شعر موسى عليه السلام أن صدق الدعوة والدعاة هي وحدها مَنْ يضمن الاستمرار والصمود، وأن الالتفات إلى حالة الإحباط عند المدعوّين لا يجب أن يقابل إلا بانتظار النتيجة: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ

تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 129]، وترك الوصول إلى اليقين بالنتيجة سنة عجيبة، نجد تكرار مشاهدها في القرآن الكريم كثيرًا: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: 30]. الحال نفسه يتكرر مع الشِّعار الذي رفعه بنو إسرائيل بعد الغزو البابلي لفلسطين، واقتياد اليهود أسرى إلى بابل، وأخذ التابوت عنوة: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 246]، بيد أن التعبير عن سوء الحال لم يكن سوى مناورة للخروج بأقل التكاليف، وأن ثمة اعتقاد عند القوم بأن الشعبوية المختارة كافية في تحقيق نصرة إلهية مجانية، فبعد أن اختار نبيهم شخصية لا تملك من المال أو الحسب وفق معايير الطبقة المتسلطة؛ ارتفعت عقيرتهم بالإنكار: ﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: 247].

لم تكن تلك النفوس المتعالية مرشحة لكسب التحرير، ولم تكن في حسابات الملك فرصة لخوض تجربة مع شخصيات تترفع باسم الطبقية عن الآخرين؛ فالانتصار على الكنعانيين العمالقة لا يتم بالعدة وحدها، إنما بنصر الله، ولذلك كان الاختبار بالتجربة ضروريًّا لمعرفة صدق الشعار؛ فخوض معركة بنفوس خائرة ومدخولة لا يحقق سوى الهزيمة، وهي قراءة مبكرة لمستقبل القتال: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 249][1].

يتكرر المشهد نفسه مع الصحابة –رضي الله عنهم– في غزوة أحد، لكن الفارق هو أن النفوس هنا صادقة وزكية، لم تصب في مبدأها ولا في شعارها، أو فقهها، لكنها

---

[1] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق: أحمد شاكر، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ج3، ص 216 ، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج1، ص 389.

أصيبت في تلك الروح السامية التي امتزج حبها برسول الله، فبدت وكأنها ورسول الله ﷺ جسدًا واحدًا، فعندما أشيع خبر مقتله ﷺ؛ خارت العزائم، وسقطت السيوف، وانكب الناس على الأرض يبكون؛ مَنْ لنا بعد رسول الله ﷺ؟! كان أنس بن النضر –رضي الله عنه– لا يزال يشق الصفوف، ويقاتل رغم صراخ الخبر الأليم، وشاهد –وهو يعالج القوم– أن المسلمين ألقوا سيوفهم، فصاح فيهم: " ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل رسول الله ﷺ، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتِل"[1].

في هذا الموضع بالتحديد، تلقَّى المسلمون درسًا –لأول مرة– يبين بأن الدعوة الإسلامية –وقد بدأت– لا يجب أن ترتبط بحياة رسول الله ﷺ أو موته، إنما بالمبادئ والحقائق والتصورات التي جاء لتبليغها، وأن مسيرة وصولها إلى الهدف مكفول ومضمون، وأن الله يجزي الشاكرين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

وبعد هذا العرض، فإن الدعاة إلى الله يواجهون في مسيرة الدعوة مصاعب شديدة، بعضها من قبل المستجيبين، وبعضها من قبل المتربصين؛ فمن أجل هذا قيل بأن طريق الدعوة محفوف بالأشواك، وأن الداعية إلى الله رغم سعادته بعمله ستعترضه شياطين الإنس والجن، فيحتاج مع هذه المواجهة إلى الاستعانة بعدد من الصفات تحفظ كرامته من الهبوط، وترفع معنوياته وعزائمه، بحيث يرتقي كل يوم في مدراج الكمال، ويزداد إصرارًا على المبدأ، فلا تهبط له راية، ولا يتوقف له صوت.

وقد أثبت التاريخ أن عددًا كبيرًا من دعاة المبادئ والمعارف تراجعوا أمام الضغوط،

---

[1] ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1955م)، ج2، ص 83.

وتقهقروا أمام التحديات، وليس سقراط (أبو الفلسفة الماهوية) الذي رضي أن يشرب السم أول هؤلاء[1]، بل في التاريخ سلسلة طويلة من التراجعات أمام مقاومة المجتمعات، وقد تحدث جان جاك روسو في كتابه (الاعترافات) عن تركه للكاثوليكية بعد الضغوط التي واجهها من البروتستانت، ثم عاد إليها بعد الضغوط من الكاثوليك[2]، وتراجع جاليليو عن نظرياته وأنكرها[3]، ولم يكتب لها أن تنتشر إلا بعده، والأمثلة كثيرة.

وصفات الثبات على المبدأ، وتبني الدعوة، والدفاع عنها؛ هي ما يأمر الله به أنبيائه –عليهم السلام– وهم يواجهون العنت والتكذيب، بحيث لا يكتفون بالإصرار والتحدي دون استمداد القوة من الله، وطلب الطمأنينة في رحابة، وسنختار في هذه العجالة بعضًا من العبادات التي تعين على الثبات:

أ– الصبر والذكر

يأمر الله تعالى الدعاة –وهم يواجهون الداخل حيث النفوس وطبيعتها، والخارج حيث الأعداء المتربصون– أن يستعينوا بالذكر والتسبيح؛ لأن ذلك تذكير مستمر بارتباطهم بالله، واستمدادهم للقوة منه –سبحانه–، وفيه راحة للنفس وطمأنة للقلب؛ لأن المحاولات الشرسة التي تبدو من المعارضين كبيرة وخطيرة، وقد يتحول بعضها إلى الإيذاء الجسدي والنفسي، مما يتطلب بقاء قلب الداعية مطمئنًا بعيدًا عن التشويش أو الانهزام، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]. والصبر ضروري

---

[1] يتراوح نقد موقف سقراط بين معجب به لأنه يؤسس لبداية المواجهة بين السلطة والحكم، ومن بين هؤلاء هيجل، وبين من اعتبره رمزا لبداية انحدار الروح التراجيدية اليونانية، إذ حوّل الفلسفة إلى منطق جاف بدلًا من عيش الحكمة كنيتشيه. ينظر: مكاوي، عبد الغفار، **لِمَ الفلسفة؟ مع لوحة زمنية للفلسفة الغربية**، (بيروت: دار الطليعة، 2021) ص 93–96. و فؤاد زكريا، نيتشه، **سلسلة أعلام الفلسفة**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2021)، ص 48–52.

[2] روسو، جان جاك، **الاعترافات**، ترجمة: جورج زيناتي. (بيروت: دار التنوير، 2017)، ص 85–92.

[3] بيير، روزانفالون، **قرن من الشعبوية: التاريخ والنظرية والنقد**، ترجمة محمد الرحموني، مراجعة جان جبور، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 215–243.

لبلوغ الهدف، وهو صفة يتحلى بها القادة في كل مكان، وبها تخاطب القيادات شعوبها، والعسكريون جنودهم، وهي صفة مشتركة عند كل ملة ونحلة، وكل دعوة إيمانية أو دنيوية[1]، لكنها عند الدعاة المسلمين مقرونة بالذكر والتسبيح؛ لأن الثبات بالاعتماد على النفس وحدها، واستذكار الهدف الكبير ليس كافيا في ضخ القوة المطلوبة، كما أنه سيضمن من الجموع الكثيرة عددًا قليلًا فقط. وقد لوحظ أن جيش طالوت شرب من النهر رغم الشعار الكبير، ورغم صرامة التحذير[2]، لكن الصبر –عندما يكون مقرونا بالذكر والتسبيح– سيضمن الاستمرار، وسيتمكن الجميع من الصمود؛ لأن الروح المعنوية ستظل مرتفعة، وتوفيق الله سيكون حليف الصادقين: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[طه: 130].

وقد تلقى النبي ﷺ في بداية الدعوة توجيهًا إلهيًّا بضرورة أن يكون الذكر والتسبيح حاضرًا وباستمرار؛ لأن المهمة جسيمة، والمواجهة شديدة، وأن الاستعانة بالذكر مع الصبر؛ ضمان لاستمرار الطريق: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ [1] قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا [2] نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا [3] أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [4] إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [5] إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا [6] إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [7] وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا [8]﴾ [المزمل: 1-8].

---

[1] يستعان بالصبر في جميع المجالات، الدينية والسياسية، والمهنية، والحياة الاجتماعية، ففي مجال السياسة كان أوباما الرئيس الإمريكي يفضل الصبر في تعامله مع ملف كرويا الشمالي، ويعبر عنه في السياسة بضبط النفس، وفي مجال الإدارة الناجحة يعده "كوفي" أساسيا في القيادة الناجحة ويعبر عنه بـ "الاستجابة المتأنية مقابل ردود الفعل العاطفية". ينظر: أوباما، باراك، **استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية**. البيت الأبيض، 2015، ص 4. و Covey, S. R. *The 7 Habits of Highly Effective People*. Free Press, 2004.

[2] وردت تحليلات كثيرة على موقف جنود بني إسرائيل من حادثة النهر، رغم وضوح التحذير، فهو يعكس سلوكًا بشريًا شائعًا: قوة الإغراء عند لحظة الضعف الجسدي والنفسي، وهذا يتكرر في كل جيل وموقف، وتُستخدم القصة اليوم كرمز لانضباط الصف تحت القيادة. ينظر للتوسع: الشعراوي، **خواطر في تفسير القرآن**، مج2، ص 1427–1430

ب– الدعاء

يأتي الدعاء بعد الذكر واطمئنان القلب، حيث يجب على الداعية أن يكون وثيق الصلة بالله، يستمد منه النصر بالدعاء، مهما كان مطمئنًّا إلى انتصار الدعوة، ومستقبل الدين؛ فالدعاء يحمل في طياته لذَّة المناجاة وصعود الروح، وفيه عند ارتفاع اليدين؛ انزياح لجموع الدنيا من الخيال، وسقوط لأي اعتبار غير الدين من الحسبان. وفي السيرة النبوية نماذج من هذه اللحظات، فعند رجوع النبي من الطائف، ومواجهته السخرية والتكذيب والتعذيب؛ رَكَنَ ﷺ إلى حائط البستان، ثم اتجه إلى الله يقول: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى مَنْ تكلني، إلى عدو يتجهَّمُني، أو إلى قريب ملَّكته أمري، إن لم تكن غضبان علي؛ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"[1]، وقد سبق أن ذكرنا الفئة المؤمنة التي ثبتت مع طالوت، وقدمت صبرًا كبيرًا أمام النهر –رغم العطش–، استعانت بالدعاء عند اللقاء، وانطلقت تستفتح القتال بهذا النداء: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 250].

ج– رفع المعنويات

إن أخطر ما يواجه الداعية هو الانهزام النفسي الذي يطرأ على القيادات، تلك التي ترفع الشعار، وتقود التنظيم، حيث ستكون نفسيًّا ومنهجيًّا –عند أتباعها– المسؤول الأول عن الدعوة، فإذا تراخت أو تضجَّرت أو انهزمت أمام التحديات؛ دبَّ في أتباعها الضعف والوهن، ولذلك كانت آيات القرآن الكريم تشد عزم النبي ﷺ بالقصص البطولية للأنبياء، والتحدي الكبير الذي واجهوا به الطغيان: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ

[1] ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: دار المعارف، ط5، 1998)م.ج 1، ص419-421.

بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] [هود: 120]، ورغم علم الله بمستقبل الدعوة، وقوة ثبات النبي ﷺ إلا أن شد العزم والتذكير بالبطولات؛ مطلب ضروري لطبيعة الإنسان، حيث جُبِل على استمداد قوة الثبات من المواقف والتضحيات.

وفي السيرة النبوية نماذج رائعة لمواقف النبي ﷺ، وهو يرفع ببطولاته وعزيمته الجبارة من معنويات أصحابه، ويبعث فيهم القوة والحماس، سواء كان ذلك في مكة إبان الدعوة أم في المدينة، فبينما كان الصحابة مجتمعين مع رسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، إذ أقبل عمر بن الخطاب نحوهم بسيفه، فشاهده الصحابة فراعهم؛ لقوة عمر وشدة غضبه، فلما طرق الباب؛ تقدم حمزة –رضي الله عنه– وهو أحد أركان الدعوة، وفي نيَّته أن يقوم بتصفيته إذا تحرك حركة زائدة عن المطلوب، لكن النبي ﷺ أراد أن يقدِّم هذا المشهد البطولي بنفسه؛ لتطمئنَّ قلوب أربعين صحابيًّا في دار الأرقم آنذاك، فأدخلوه في حُجرة، "وقام إليه رسول الله، فدخل عليه، واقترب منه، ثم أخذ رسول الله بمجمع ردائه، ثم جَذَبَه نحوه جَذْبة شديدة، وقال له في قوة: "ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة"، عند ذلك ردَّ عمر بصوت منخفض: يا رسول الله، جئت لأُومِنَ بالله وبرسوله"[2]. في يوم من الأيام، قررت قريش أن تنال من رسول الله ﷺ بعد موت عمه أبي طالب؛ فاعترضه سفيه من سُفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابًا، ودخل رسول الله ﷺ بيته، والتراب على رأسه؛ فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: "لا تبكي يا بُنيَّة، فإن الله مانعٌ أباك"[3].

أما في المدينة، فقد كان النبي ﷺ قويًّا وشجاعًا في السلم والحرب، يقول الإمام علي –كرَّم الله وجهه–: "كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ؛ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

[1] ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر د. ت)، ج 12، ص 189–191.

[2] أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 2001م)، صـ 204.

[3] صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام** (الرياض: دار السلام، الطبعة الثانية، 2000م)، صـ 105.

فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ"[1]. أما في السلم، فقد كان ﷺ أيضًا حريصًا على استبقاء قلوب المسلمين مطمئنة، يقول أنس بن مالك –رضي الله عنه–: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ؛ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا"[2].

المطلب الثاني: الدفاع عن المبدأ والدعاة

عندما ضاقت قريش ذرعًا برسول الله ﷺ قررت أن تضع له حدًّا باستخدام أقاربه، كان أبو طالب هو المرشَّح للمَهمة، فانتخبوا أفاضِلَهم لتنفيذ المهمة، عرضوا على أبي طالب أن يستجيبوا لمطالب رسول الله ﷺ الاجتماعية والمالية، حتى لو كان ذلك على مستوى التنصيب للرئاسة، وهي عروض مغرية لطُلَّاب الدنيا، وأصحاب الأهداف الباهتة، والأصباغ الزائفة، لكن رسول الله ﷺ سيسجل حكمة تضيء النور في المسار الدعوي إلى يوم الدين، حتى يكون كافيا لكل المشتغلين في حقل الدعوة؛ أن يثبتوا على مبادئهم مهما كانت المغريات ثمينة، وأن ينافحوا بالدفاع دون التخلي عن القيم الأخلاقية: "يا عمِّ" هكذا بدأ رسول الله ﷺ حديثه مع عمه؛ ليحافظ على مكانة عمه الاجتماعية من جهة، وليضمن مرور الأخلاق النبيلة التي يدعوا إليها من جهة أخرى: "لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أرجع عن هذا الأمر ما رجعت"[3]، وهذا الجواب يقطع الطريق على أي محاولة أخرى من قريش، فقد بات واضحًا أنها رسالة إلهية، وليست مطلبًا دنيويًّا.

وملاحظة الحفاظ على القيم الأخلاقية وقت الدفاع عن المبدأ جانب مهم في حياة

---

[1] رواه أحمد في **المسند**، ج2، صـ 302، حديث رقم 878، ط1، 2001م.

[2] أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعتق، [39/4]، ح: 2908

[3] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج1، ص474

الدعاة فلربما يتوهم الداعية أن دفاعه عن المبدأ يمنحه سلطة التمرد على الأخلاق؛ بحجة أن المتمردين –أو الغاصبين– لا يستحقون التفاتة أخلاقية أو حنوا أو عاطفة. وهذا خطأ يجري وفق المبدأ الميكافيلي؛ الغاية فيه تبرر الوسيلة، فقد أمر الله تعالى موسى –عليه السلام– أن يبدأ فرعون الطاغية باللين، وأن يجتهد في انتقاء الكلمات الطيبة، لعلها تؤثر فيه، وتنقذه من النار؛ رغم كفره وتعاليه: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [43] فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى[1] [44]﴾ [طه: 43-44]، وقد كان النبي ﷺ مع دفاعه عن المبدأ لا يترك الأخلاق، بل كان يعتبرها سبيلًا في الوصول إلى قلب المدعوّين ولو كانوا ظالمين، فعندما جاء إليه عمير بن وهب لقتله؛ رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، فقال: "أرسِلْه يا عمر، أُدن يا عمير"، فدنا ثم قال: أنعِم صباحًا، وكانت تحيه أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله: "قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة"، قال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال: "فما جاء بك يا عمير...[2]".

ومواقف الدفاع عن المبدأ كثيرة أيضًا في حياة الصحابة ﷺ رغم أنهم حديثو عهد بالإسلام، إلا أن كثافة التعاليم الإيمانية التي تلقوها من رسول الله ﷺ كافية لاتخاذ موقف الدفاع عنها، حتى ولو كان ذلك في دار الغربة، وبعيدًا عن الأنصار، فهذا جعفر بن أبي طالب يتقدَّم أمام النجاشي ليردَّ عن أهداف هجرتهم إلى الحبشة، ويدافع عن قناعتهم بصدق الدعوة الإسلامية، فيستعرض أمامه جَسَامة التغيير الذي حصل في العقيدة والأخلاق: "أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ

[1] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ج 11، ص 195–197.

[2] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج2، ص487.

وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ – قَالَ : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ – فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ ..."[1]، وكان من حكمته أن اختار سورة مريم نموذجًا يتلوه من القرآن الكريم، وهذا يدخل في ضرورة الفطنة، ومراعاة أحوال المخاطبين، ومقتضيات الأحول –كما سنبين ذلك لاحقًا– بحول الله تعالى.

يتجلى الدفاع عن الدعاة والدعوة أيضًا في موقف زيد بن الدثنة أو خبيب بن عدي، كما في رواية أخرى عندما صرخ في وجوه المشركين: "وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ شِيكَ بِشَوْكَةٍ"[2] .

المبحث الثاني: الصفات التأهيلية

المطلب الأول: الصبر مع المدعوين

عندما يكتب الله لك النجاح في استقطاب عدد من الناس، وإقناعهم للدخول في الإسلام؛ فاعلم أن ذلك يعني أنهم إخوانك في الدين، وأنهم في أمس الحاجة؛ لتقف معهم أكثر من لحظة الدعوة نفسها حينما عرضت عليهم الإسلام، لأنهم سيواجهون في طريق إشهارهم المشكلات، منها:

1. مراجعة النفس بمعونة الشيطان، فلربما يستعرضون السوالب من الصفات عند المسلمين، ففي أحوالهم ما يصد عن الدين، وقد استعرض جيفري لنك في كتابه (ضياع ديني)

[1] أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص 147.

[2] أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ، ص246.

بعض هذه الصور التي كانت مربكة بالنسبة له قبل أن يضعها كتنبيهات في كتابة ويناقش أسبابها[1].

2. التدخلات من الآخرين: فبمجرد دخوله في الإسلام تتقاطر إليه قوافل المحبطين، وتستعرض أمامه صور الترغيب والترهيب، ولربما تضعف نفسه أمام هذه الموجة العنيفة من التوبيخ، هو بحاجة إلى مساندة إخوانه ومؤازرتهم، وقد امتدح الله تعالى المؤمنين من أهل الكتاب الذي سيستخدمون قناعتهم وعلمهم بالكتاب في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]. وفي القرآن الكريم يحكي الله لنا موقف عقبة بن أبي معيط مع أمية بن خلف عندما أسلم أمام رسول الله ﷺ ليخفر ذمته، وينتخي بالعزة حسب التقاليد العربية، لكن أمية بن خلف حَلَف ألا يكلمه حتى ينقض عهده مع رسول الله ﷺ، ويتخذ قرارًا بإهانته، فقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا [27] يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا [28] لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا [29]﴾ [الفرقان: 27-29][2].

من أجل هذا توجه النصوص القرآنية والنبوية الدعاة إلى ضرورة الالتفات إلى المدعوين ودعمهم، والوقوف بجانبهم من خلال الطرق الآتية:

أ- أمر الله تعالى بالصبر على مجالسة الدعاة، فهم نواة المجتمع الجديد، وستكون من أصلابهم ذرية تعبد الله، كما أن تقوية جانبهم وتعزيز وجودهم يساعد في تشكيل تكتل قوي يصمد بالاتحاد، ويتحرك بالتشجيع والتحفيز؛ وهذا الجانب ملحوظ في كل صور الحياة،

---

[1] جيفري لانغ، **ضياع ديني: نداء استغاثة**. ترجمة: فاطمة ناصر، (بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى 2006م)، ص 41–46 و 115–120.

[2] الواحدي، **أسباب النزول**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م)، ص 307.

وهو ضروري لأي تكتل سياسي أو اجتماعي. وقد فشلت الرأسمالية والشيوعية في هذا فشلا ذريعا، فاتجهت الأولى إلى خدمة الفرد على حساب المجتمع؛ فنتج من ذلك تكدس الأموال لدى فئة صغيرة من المجتمع واستمرار التصنيف الطبقي المالي القديم "الأرستقراطية والبرجوازية" بطريقة جديدة، ولم تخفف من حدتها وغلوائها في تقديس الفرد إلا الدعوة الشيوعية التي عزفت على نغمة العمال، وطالبت بذوبان الطبقة البرجوازية واختفائها، ومثلت نفسها الداعية الصادقة لنصرة المهضومين، لكنها بعد تحولها إلى مشروع سياسي وتمكنها من الحكم عبر سلسلة من المذابح المخيفة جعلت الثروة في يد الطبقة الحاكمة واعتبرت البقية مسامير في آلة ونزعت المالكية، ووزعت الفقر على الجميع باستثناء طبقة الرؤساء والبرلمان وشركاء السياسة، حتى انقلب عليها أتباعها وكرهوا ظهروها وندموا على نصرتها[1]. واستفادت الرأسمالية من الدعوة الشيوعية –ليس حبا للإصلاح، ولكن خوفًا على المستقبل واتقاء للثورات– فعدلت بعض قوانينها وأنشأت نقابة العمال، والتأمينات الاجتماعية، وضمنت بعض حقوق الجماعة في وجوه الأفراد، لكن ما فعلته لم يكن سوى فتات يستبقي اللاهثين حينا حتى يموتوا.

وفيما يتعلق بالصبر مع المدعوين جاءت النصوص القرآنية والنبوية تأمر بالصبر معهم والالتفات إليهم وتبني همومهم ومشكلاتهم وفق المشاهد الآتية:

ب– فعند تشكل المجموعة المؤمنة الأولى في مكة المكرمة، تلك التي ستخط مستقبل الدعوة بدمها ومالها، وتأخذ على عاتقها امتدادها في الآفاق؛ يأمر الله نبيه ﷺ بالجلوس معهم والإصغاء إلى مطالبهم، وتعليمهم ومساندتهم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2] [الكهف: 28].

---

[1] ينظر للتوسع: عزمي بشارة، **المجتمع المدني: دراسة نقدية**، المركز العربي، 2012، صـ 145–152. و ستانلي أرونوفيتز، **تشارلز ميلز واليسار الجديد**، ترجمة المركز العربي، 2018، ص 201–207.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) ج 10، ص 393–396.

ج- وفي زمن نوح -عليه السلام-، اشترط الملأ أن يتم طرد المسحوقين اجتماعيًّا من دعوته، فهم ليسوا مؤشرًا على صدقها أو جدارتها، بل اعتبرت الجماعة المتسلطة أن من علامات فشل الدعوة هو استقطابها للأرذلين؛ لكن الدعوة الإسلامية لا تراهن على الطبقات، ولا تجعل مستقبلها رهنًا بيد السادات، إنما هي دعوة للناس إلى فهم هداية الله، وإنقاذ أنفسهم من عذابه، وإقناع البشرية بأن أي إصلاح لا يستطيع أن يضمن العدالة والمساواة إلا برسالة سماوية تتعالى على الطبقية، وتعود بالناس إلى أصل واحد، فجرى بينه وقومه هذا الحوار: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ(31) ﴾[1] [سورة هود: 29–31].

ومن الذين تأثروا بنظام المساواة في الإسلام؛ هيرالال ابن الزعيم غاندي عندما لاحظ أن الهندوسية -رغم إصلاحات أبيه- لا تزال تعتمد الطبقية، وتعتبر الشودرا (وهم فئة المنبوذين) خَدَمًا لا يستحقون الحياة إلا بمقدار ما يخدمون البراهمة، فدرس الإسلام، ولاحظ بناءه العقائدي على المساواة، فأسلم وتسمى بعبد الله غاندي[2]. وفي زمن الحداثة عندما بدأت الحضارة الغربية في التخلص من تناقضات الدين، وترفض التحالف التاريخي بين رجاله والسياسة؛ تقدم مجموعة من فلاسفتها بقراءات في العقل والسياسة والاجتماع، وقدموا أنفسهم على أنهم دعاة التنوير، إلا أنهم لم يستطيعوا التخلص من العنصرية وتقسيم الناس إلى أسود وأبيض بل إلى عرق وآخر، فـ جون لوك (رائد العقد الاجتماعي) كان تاجرًا للعبيد،

[1] ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ج 12، ص 317–320.

[2] في مايو 1936، اعتنق الإسلام علنًا عن عمر يناهز 48 عامًا وأطلق على نفسه اسم عبد الله غاندي. نزل خبر اعتناقه للدين الإسلامي كالصاعقة على الهند وعلى والده أيضًا، حيث كانت العلاقة بينهما متوترة. ينظر: تريديب سُهْرود، **الابن المنسي لغاندي: هاريلال غاندي**، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2015م)، ص 185–190.

وداعيا إلى استبقائهم، ومنتسكيو (صاحب نظرية فصل السلطات الثلاث) يقول: "حاشا للإرادة الإلهية أن تخلق أناسًا سودًا، فُطْسَ الأنوف إلا لخدمة البيض"، وهكذا كانط (صاحب أخلاق الواجب)، والقائمة تطول[1].

د- وفي مشهد خلده القرآن الكريم، شعر النبي ﷺ أن المفاوضات مع سادات قريش ستؤدي في القريب المنظور إلى نتيجة إيجابية؛ فانهمك يستغلُّ الأوقات حينما أتاحوا له فرصة الحوار، فجاء عبد الله بن أم مكتوم يقتنص فرصة مماثلة مع رسول الله ﷺ، فرجاه رسول الله أن ينتظر قليلًا حتى يستكمل الحوار. لكن الله تعالى يريد أن يعلمنا شيئا آخر، إنها أولوية المستجيبين للإسلام، مع بيان العلة التي تقتضي الالتفات إليهم وهي: يقينية هدايتهم ومظنونيه غيرهم. وهي لعمري قمة العدالة والإنصاف، وأعظم ملحظ في مراعاة النفوس وطبيعتها؛ فرغم أن عبدالله كان أعمى لم يلحظ عبوس النبي ﷺ بالحس، ولكنه شعر بألمه في القلب، فذكَّره القرآن الكريم لأهمية تتبع التأثيرات السلبية على النفوس والحرص على نقائها وسالمتها من الحزن: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) ﴾[2] [عبس: 1–10]

---

[1] التناقض بين فلسفة الأخلاق الغربية وممارسة فلاسفتها كثيرة، تناولها الكتاب من زوايا مختلفة، فهي تعرض التناقض بين خطاب الحرية عند فلاسفة الغرب وممارساتهم الاستعمارية، بما في ذلك دفاع منتسكيو وغيره عن تفوق العرق الأبيض. ينظر للتوسع: طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م)، ص 112–118؛ إدوارد سعيد، **الاستشراق**، ترجمة كمال أبو ديب، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1981م)، ص 235–242؛ عزمي بشارة، **المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م)، ص 87–90؛ عبد الله العروي، **الأيديولوجيا العربية المعاصرة**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1995م)، ص 66–70؛ محمد عابد الجابري، **نقد العقل العربي**، ج 4؛ **العقل السياسي العربي**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م)، ص 143–150..

[2] ينظر: انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج 30، ص 32–35؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 19، ص 213–216؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 8، ص 307–309؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 31، ص 80–83.

هـ – ولذلك ليس غريبًا في هذا النسق، أن يَنهى القرآن الكريم عن النجوى، رغم أنها ليست في سياق الدعوة أو التهميش؛ لكنها مؤثرة أيضًا في النفس، وداعية إلى الحزن. والحزن لحظة ضعف؛ تسمح باختراق الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[1]﴾ [المجادلة: 10].

و– وفي حادثة تبوك التي حزن فيها الثلاثة الذين خلفوا، استغل طلحة بن عبيد الله –رضي الله عنه– فرصة نزول التوبة من الله؛ فسارع ليهنِّئ كعب بن مالك –رضي الله عنه– حتى يكون أول المبشِّرين، ولم يكن يعلم أن تلك البشارة أضافت له عند كعب بن مالك محبَّة عميقة، قال عنها: "قام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني وهنَّأني، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة"[2]، فهذه الملاحظ النفسية ضرورية، وتعهدها وتذكير النفس بها مهمة لبقاء المحبة ودوام النقاء.

أما ما حصل في صلح الحديبية، عندما وافق النبي ﷺ على ردِّ الذين أسلموا عن المدينة، فصحيح أن بنود الصلح تنص على عدم السماح بالاستقبال؛ ولكنها لا تنص على تسليمهم وردهم إلى أقوامهم، وقد كانت تلك بداية إيكال النبي ﷺ المسلمين إلى قناعتهم ومبادئهم، وعدم ربط إسلامهم بحياته ﷺ والقرب منه، إنما ربط نفوسهم بالله والمبادئ الإيمانية التي بلغها إليهم، وقد فهم المسلمون ذلك مبكرًا عندما هاجروا إلى الحبشة، واستوعبوه لاحقًا في غزوة أحد، الأمر الذي مكّن أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– من إعلانه عندما توفي رسول الله ﷺ

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 841؛ طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج 14، ص 318؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 28، ص 17–18؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3498.

[2] انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، حديث: (4418) .

رغم شدة الهول وعظم المصيبة، فاخترقت قلوبهم واستقرت؛ حيث كان الوعي بها راسخًا منذ أُحد: "أَمَّا بَعْدُ فمَن كانَ مِنكُم يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فإنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ، ومَن كانَ مِنكُم يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، قالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقالَ: واللَّهِ لَكَأنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ أنْزَلَ هذِه الآيَةَ حتَّى تَلَاهَا أبو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا منه النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَما أسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إلَّا يَتْلُوهَا فأخْبَرَنِي سَعِيدُ بنُ المسَيِّبِ، أنَّ عُمَرَ قالَ: واللَّهِ ما هو إلَّا أنْ سَمِعْتُ أبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ، حتَّى ما تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وحتَّى أهْوَيْتُ إلى الأرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أنَّ النبيَّ ﷺ قدْ مَات"[1].

وقد كان الاطمئنان إلى هذا الاستيعاب المبكر كافيا للاعتماد على هذه الفئة المؤمنة الواعية في إرباك قريش وقطع طريقها، وتعليمها درسًا كانت غافلة عنه، عندما اعتقدت أن هذه الدعوة ستنتهي بنهاية رسول الله ﷺ، وأنها ليست سوى دعوة شخصية تنتهي بوفاته، وفي التاريخ ما يمكن لقريش أن يقيسوا عليه؛ كالإسكندر المقدوني مثلًا. وما حدث من أبي بصير ورفاقه جعل قريش تسارع في إلغاء شرط رد المسلمين عن المدينة، واستقبالهم فورًا دون تردُّد، وهو الهدف البعيد الذي أدرك الصحابة –رضي الله عنهم– مغزاه لاحقًا[2].

---

[1] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج4، ص480.

[2] بعد صلح الحديبية، اشترطت قريش أن من يأتي مسلمًا من مكة إلى المدينة يُرَد إليها. فجاء أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي مسلمًا فارًّا من قريش. فأرسلت قريش في طلبه رجلين، فردّه النبي ﷺ وفاءً بالعهد. في الطريق، تمكن أبو بصير من قتل أحد الرجلين وفرّ الآخر، فلجأ أبو بصير إلى سيف البحر قرب العيص (على طريق الشام). صار كل من أسلم من مكة يفرّ إليه، حتى اجتمع معه سبعون رجلاً، فكوّنوا عصابة قوية تقطع طريق قوافل قريش التجارية، لما رأت قريش أن ذلك يهدد تجارتها ومصالحها، أرسلت إلى النبي ﷺ ترجو أن يضمهم إلى المدينة، وألغت الشرط السابق من صلح

المطلب الثاني: الوعي بالخلاف

حرص النبي ﷺ على تعليم أمته الإيمان بالاختلاف، وأنه جانب تقتضيه الفطرة البشرية من جهة، وسعة المنهج ومرونته من جهة أخرى. وبالنسبة للطبيعة البشرية فإن الله خلق كل إنسان بطبيعة وراثية مختلفة عن أخيه حتى ولو كان توأمًا له، وحكمة الله عظيمة في هذا الشأن؛ فتنوُّع المواهب والطبائع والميول محرك رئيس لعجلة الحياة، ودعاية إلى الجمال المادي والمعنوي، ولذلك يجتمع الاثنان في آية واحدة عندما يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ [27] وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ [28]﴾[1] [فاطر: 27-28].

وفي القرآن الكريم شرح ضمني لظاهرة الاختلاف الطبائعي بين موسى وهارون عليهما السلام، رغم أن الاثنين يسيران في اتجاه واحد، وقد انعكس اختلاف الطبائع على اختلاف الآراء، فبينما كان موسى عليه السلام غضبانَ أسِفًا -كعادته- كان هارون -عليه السلام- يتمتَّع بهدوء كبير، فكان يرى مع شدة انحراف بني إسرائيل أن يستبقي وحدتهم حتى يعود موسى، و أن اتخاذ أي قرار متسرع سيفضي إلى تفريقهم، وهو الأمر الذي يخشاه من موسى عليهما السلام، إضافة إلى المبدأ العام الذي تعلل به وهو الاستضعاف[2].

وقد لوحظ هذا التزاوج بين الطبيعة البشرية واختلاف الآراء في مداولات النبي ﷺ مع أصحابه حول أسرى بدر، فبينما كان عمر "الشديد" -رضي الله عنه- يرى قطع

الحديبية. بهذا تحقّق الهدف البعيد الذي أراده النبي ﷺ، وفهم الصحابة بعد ذلك حكمة قبوله بذلك الشرط ابتداءً. ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج3، صـ 338–340، ط5، 1998م؛ الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، صـ 626–628؛ ابن كثير، البداية **والنهاية**، ج4، صـ 186–188.

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 22، ص 256–258.

[2] نفسه، ج 16، ص 230–232.

الرؤوس، كان أبو بكر "الرقيق" –رضي الله عنه– يرى العفو والفداء[1]. والطبيعة نفسها يقرها النبي ﷺ مع أصحابه في مواطن مختلفة.

كانت توجيهات النبي ﷺ للدعاة أن يكون هذا الاختلاف طبيعيًّا ومقبولًا، يساعد على التكامل في مسيرة الدعوة، والتعاون على تبليغ الرسالة، وليس التضاد والملاحاة والتنابذ؛ لأن الأخير سيؤدي إلى فساد ذات البين ويوغر النفوس حتى يتربص بعضها ببعض مما ينعكس سلبًا على الدين نفسه، ومن هنا كان من الضروري أن يتم التأكيد على فهم طبيعة الاختلاف الفطري والفكري، وأن تستبعد حين معالجته جميع الأمراض النفسية التي تعكر هذا الوعي، وتتحول بالطبيعي إلى ما ليس طبيعيا ولا مقبولا؛ فعن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبَغْضَاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشِّعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئكم بما يثبِّت ذلك لكم؟ أفشوا السَّلام بينكم "[2].

ويمكن للداعية أن يلحظ طبيعة الاختلاف المقبول في الشريعة الإسلامية من خلال مقاصد التعددية في الأحكام والتشريعات الآتية:

أ- نزل القرآن الكريم بلهجات قريش كلها، حتى يستوعب الجميع، ويسمح بفرض نماذج متعددة في إطار التكامل، مع ملاحظ أن الجميع يتلون كتابًا واحدًا متناسقًا ومتماسكًا في تعاليمه. ولا تتضمن القراءات المختلفة أية تناقضات أو تباينات في الأهداف والغايات والإرشاد، وهذا بخلاف الأناجيل والإصحاحات عند أهل الكتاب. وقد حصل الصحابة أنفسهم على فرص لاستيعاب ذلك؛ يحكي عمر –رضي الله عنه– أنه سمع هشامَ بنَ حَكيمِ بنِ حزامٍ يقرأُ سورةَ الفرقانِ ، فقرأَ فيها حُروفًا لم يَكُن نبيُّ اللَّهِ ﷺ أقرأَنيها، قُلتُ:

---

[1] ينظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد، حديث (1763)؛ البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، حديث (3952)؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج2، صـ 290–292.

[2] أخرجه الترمذي في **الجامع**، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، [280/4]، ح:2510

مَن أقرأَكَ هذِهِ السُّورةَ؟ قالَ: رسولُ اللَّهِ ﷺ، قُلتُ: كذبتَ، ما هَكَذا أقرأَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ! فَأخذتُ بيدِهِ أقودُهُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! إنَّكَ أقرأتَني سورةَ الفرقانِ، وإنِّي سمِعتُ هذا يقرأُ فيها حروفًا لم تَكُن أقرأتَنيها! فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: اقرأ يا هشامُ. فقرأَ كما كانَ يقرأُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ: هَكَذا أُنزِلَت. ثمَّ قالَ: اقرَأ يا عمرُ. فقرأتُ، فقالَ: هَكَذا أُنْزِلَت. ثمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ: إنَّ القرآنَ أُنزِلَ علَى سَبعةِ أحرُفٍ[1].

ب- لكن هذا الدرس لم يتسمرَّ طويلًا؛ فعندما ضعف الوعي بهذا الاختلاف في زمن عثمان بن عفان، وأدى إلى النزع والشقاق، قرر ذو النورين أن يجمع الناس على مصحف واحد، ومع ذلك ظلت القراءات برهانا على طبيعة الاختلاف وتعليما صامتا للدعاة والعلماء عبر التاريخ.

ج- ومن مراعاة النبي ﷺ لطبيعة الاختلاف الطبعي، وتنزيل الأحكام والوصايا على وفقها؛ تعدد وصاياه لصحابته ﷺ عندما يستنصحونه: "لا تغضب"، "أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف فلما مضى"، "اهجري المعاصي، فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض؛ فإنها أفضل الجهاد"، "عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع؛ فإنه الفقر الحاضر"[2]، وهكذا.

د- كما أنه راعى هذه الطبيعة النفسية، وهو في عز النصر عندما دخل مكة المكرمة، واقترح عليه عمه العباس ﷺ أن يستجيب لطبيعة أبي سفيان النفسية، فقال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن".

---

[1] أخرجه الربيع في **المسند**، باب في ذكر القرآن، [11/1]، ح:15.

[2] من وصايا النبي ﷺ المتنوعة حسب أحوال السائلين: قوله: "لا تغضب" (**البخاري**، الأدب، حديث 6116)، وقوله لعقبة بن عامر: "أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف" (**مسند أحمد**، حديث 17196)، وقوله لعبد الله بن عمرو: "اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد" (**مسند أحمد**، حديث 6785)، وقوله لحكيم بن حزام: "عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر" (الطبراني، **المعجم الكبير**، حديث 3214).

هـ- وسبق للنبي ﷺ أن أعطى تقييمًا سريعًا لوفود قريش أيام الحديبية، فكان يعطي صحابته -رضي الله عنهم- توجيها بنوعية المفاوضات مع كل شخص، وهاهنا جزء من المشهد: "قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا فُلَانٌ، وهو مِن قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا له فَبُعِثَتْ له، واسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذلكَ قالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ما يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إلى أصْحَابِهِ، قالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قدْ قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ، فَما أَرَى أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ منهمْ يُقَالُ له: مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ، فَقالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقالوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أشْرَفَ عليهم، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: هذا مِكْرَزٌ، وهو رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبيْنَما هو يُكَلِّمُهُ إذْ جَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو. قالَ مَعْمَرٌ: فأخْبَرَنِي أيُّوبُ، عن عِكْرِمَةَ: أنَّه لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: لقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِن أمْرِكُم[1].

و- من جهة أخرى فإن المنهج في النصوص الشرعية بني على تراكيب اللغة والعقل، وتزاوج كل منها في طباعة الصورة الذهنية أو تصور المعنى؛ فأحيانا يتردد العقل في معرفة الحكم اليقيني عندما يكون اللفظ مبهما أو حمالا لأوجه عديدة، أو مشترك اللفظ بين عدد من المعاني، فلا يكفي ذات النص في إعطاء اليقين، لكنه أيضا لا يعذر أحدا من الأخذ بما يراه الأقرب إلى الصواب، وهو تشجيع ضمني في داخل النصوص على أهمية الاختلافات وضرورتها للرحمة بالناس والتخفيف عنهم، وتدريبهم على تقبل الخلاف فيما هو دون ذلك من شؤون الحياة. والأهم من هذا هو أن الأمة الإسلامية إن لم تستوعب الخلاف ولم تقبله ظاهرة طبيعية بينها سيؤدي ذلك إلى تناحرها واستهلاك قوتها داخليا؛ وفي درس بني قريظة ما يبرهن على ذلك فبعد الخندق قال النبي ﷺ:" لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة"[2]. لكن هذا النص يحتمل معنيين

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، [193/3]، ح: 2713

[2] رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، حديث (4119)؛ ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، حديث.(1770)

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم قادرين على تحديد أصوبهما، فصلى بعضهم في الطريق لأن وقت الصلاة سيفوت واعتبر أن هذا النص مقيد بنص أداء الصلاة في وقتها. وصلى بعضهم في بني قريظة بعد فوات الوقت واعتبر أن هذا النص تشريع استثنائي، ومع ذلك أقر النبي ﷺ الجميع .. فهذا الوضع رشَّح المسلمين لقبول اختلاف الآراء في شؤون الحياة الأخرى وأهمها السياسية فعندما بدأت المشاورات وقت حصار خيبر هل يقطعون النخل أم يستبقونه جاء القرآن الكريم ليصوب جميع الآراء، ويذكر المسلمين بأن الأخذ بأحد الرأيين أو كليهما هو بأمر الله؛ أي أنه أخذ بسعة الشريعة ومرونة التشريعات، واستجابة للطبيعة البشرية عندما تقدم آراءها في إطار المصلحة الواحدة، فقال سبحانه: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: 5].

المبحث الثالث: الصفات الأخلاقية

المطلب الأول: حب الدعاة، والبعد عن الضغائن

لا تستقيم الدعوة ما لم يكن في الدعاة حب مذخور لأترابهم وأصدقائهم في الحقل الدعوي، لأن الذي ينخرط في سلك الدعوة إنما يفعل ذلك لأنه يعبد الله، وأنه وصف الدعاة الآخرين في خندق واحد، يؤكد ذلك دائما في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]. وليست الدعوة العملية أقل شأنًا من الدعوة الجهادية، حينما يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4] . أما من نظر إلى الدعوة على أنها مكانة شخصية، وسمعة اجتماعية، وقربٌ من مراكز القرار فمثل هذا الرجل عبء ثقيل على الدعوة، يكثر منه الهرج والمرج، ويسعى إلى تفريق الصف وخلخلة الجماعات. وقد ورد التحذير من هذا الصنف في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة :47].

ولتعزيز مبدأ حب الدعاة والمدعوين نذكر الآتي:

أ- فرض الله على المسلمين الإيمان بالرسل، في دلالة واضحة على أن الإسلام امتداد لسلسة الأنبياء والدعاة، الذين جاءوا بدعوة واحدة ورسالة واحدة وإن اختلفت تشريعاتها بحسب الأقوام، لكنهم جميعا ينطلقون من الإيمان بالله ودعوة الناس إلى عبادته والاستمساك بهديه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]، ولذلك رفع الله عن الناس الرغبة في التمييز بين الأنبياء، وجعل موضوع التفاضل بينهم يعود إليه وحده سبحانه، وأن التفضيل إذا بينته النصوص؛ فإنما يتجه إلى جَسَامة العمل وطول المدة وشراسة الأقوام، ولذلك سمَّى الله تعالى خمسة منهم بأولى العزم.

ب- ربما يظن بعض الدعاة أن القيمة العملية ترجح كلما كانت التضحيات المالية والعملية أكبر، وأن ذلك معيار التفاضل بين المؤمنين، لكن القرآن الكريم يبين أن هذا التوجه ليس صحيحا، وأن التفاضل عند الله بين هذا وذاك لا يعني مطلقا سلب الفضل أو التقليل من العمل، وعلى المسلمين أن يكلوا أعمالهم إلى الله فلا يصح المنة بالاستكثار: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾، ولا يصح اعتماد الأقدميات معيارا للتفاضل بين الدعاة والمصلحين، فيقول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[1] ﴾ [النساء: 95]، ومثل ذلك ورد في شأن من أنفق من قبل

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 5، ص 92–95؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 5، ص 272–275؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 287–289؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 8، ص 42–44؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 914.

الفتح وقاتل. والآيات تؤكد –في صرامة– أن العبارة التي يجب أن يشتغل عليها الدعاة هي "وكلًّا وَعَدَ الله الحسنى"، أما الدرجة فهي طبيعية في سياق العدالة الإلهية.

ج– يفرض العمل الدعوي وجوب الموالاة بين المؤمنين وحبهم، والتقرب إلى الله بولائهم، خاصة عندما يكون ذلك في سياق القيام المباشر بالدعوة والإصلاح فيقول سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1]﴾ [التوبة: 71]، وحيث إن الموالاة تعود على الصف الدعوي بالقوة وتسد ثغرات الخصام والشقاق، وتحجز النفس عن الاستجابة لأدوائها كالغيرة والحسد؛ ورد التحذير من معاداة الأولياء، واعتبار ذلك حربا مباشرة من الله، ففي الحديث القدسي أن الله تعالى قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب..."[2].

د– وقد نبه الله تعالى في آية تحريم الخمر أن من أكثر أمنيات الشيطان هي إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وأن شرب الخمر بما يؤدي إليه من تغييب العقل؛ قنطرة لسلسة من الشر، لا تنتهي بهلاك الشارب نفسه، إنما تحول المجتمع إلى كرة ملتهبة من الشقاق.

هـ– ومن هنا ندرك أيضا أن الهروب من صف القتال –مع اشتداد الخوف– محرَّم؛ لأن الانسحاب وترك المجاهدين وحدهم في الميادين، يؤدي إلى تمكين مباشر للعدو من رقاب الصامدين، وفتح ثغرات مادية ومعنوية لسحقهم، ومتى تأسس لدى الهاربين اعتقاد بأن حياتهم أولى بالبقاء من إخوانهم في الصف؛ فإن ذلك مؤشر على انتهاء الإيمان، وبداية الشر: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[3]﴾ [الأنفال: 16]. وقياسا على هذا، فإن الدعاة في ميادين السلم مطالبون أيضًا بوحدة الصف وتقاسم المواجهات والتعب، وفي سورة ياسين

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 10، ص 258–260.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث.(6502)

[3] ينظر: فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت) ج 15، ص 181–183.

عندما جاء من أقصى المدينة رجل يسعى؛ خلَّد الله له كلمات في الثبات على المبدأ عندما كان يواجه المعتدين، وكلمات في الفرح بالشهادة عندما صار في النعيم: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [22] أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ [23] إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [24] إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ [25] قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ [26] بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[1] [يس: 22–27].

و- يقتضي هذا أن يحرص الدعاة على التماس العذر بعضهم لبعض، وأن يكون ذلك منطلقا للدفاع عنهم، وتبرير أفعالهم ما دامت داخلة في الدائرة الشرعية، كما لا بد أن يكون هناك حرص على النظر في احتمالية الإكراهات التي يتعرضون لها من الساسة والأعداء؛ فكم شوهت السلطات أعدادا هائلة من المصلحين! سواء كانوا أفرادا أو في جماعات، وعملت على السعاية بهم وتنفير المجتمع منهم، وإيهام الناس بأنهم عناصر مخترقة تعمل لصالح السلطات، وتمجد الظلم والانحرافات. ومن المؤسف أن إخوانهم من الدعاة لا ينتظرون للبحث في الأسباب أو تقصى الحقائق بالطرق العلمية الصحيحة؛ إنما يسارعون إلى التهمة، والبراءة، ويبررون ذلك بأن فعلهم هذا مصلحة للدين، ودعوة إلى تشذيب العمل الدعوي من المطبلين أو الخائنين. لكن ذلك ليس مطَّردًا في جميع النفوس؛ فهناك من يجد في اتهام الدعاة لذة داخلية، وتزكية غير مباشرة لنفسه، ومن هنا كانت النصوص الشرعية حريصة على سد هذا الباب باتباع ثلاث طرق:

1. حسن الظن والتماس العذر، فليست الظنون يقينا، وليست أحاديث الناس أو السلطات دليلا، بل الأحرى أن يساء الظن في السلطات والمغرضين وليس في الدعاة المؤمنين، فقال تعالى في حادثة الإفك: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12].

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 22، ص 191–195.

2. احتساب الأعمال الصالحة، والمشاركات الدعوية رصيدًا قويًّا للداعية يمنع المسارعة في اتهامه، ويصد الراغبين في كسب الجولة بسوء الطوية، ففي حاثة حاطب بن أبي بلتعة عندما كتب إلى قريش يحذرهم من جيش المسلمين وبعث الكتاب مع امرأة، وعندما تم التحقيق في الأمر نادى بعض الصحابة –غيرة على الدين– بنفاقه وطالب بقتله، لكن النبي ﷺ قال: "إنَّه شَهِدَ بَدْرًا، وما يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[1]، وهذا التوجيه النبوي مريح جدًّا للنفوس التي تتأزم أمام أخطاء الدعاة، فتصاب بالوسواس القهري، وتحسب أن كل صيحة عليها، كما أنه مريح للغيارى على الدين، فلا تستعجل نفوسهم بإطلاق الأحكام، وليأخذوا فترة زمنية كافية للتحري ومتابعة الأخبار الصحيحة. وقد أخفق المجاهدون الأفغان عندما سمحوا للضغائن أن تتحرك بينهم بحرية، فدكَّت مدافعكم معاقل بعضهم بعضًا، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم، وقد حذر النبي ﷺ المسلمين من هذا المصير، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال:"إذا فُتِحَت عليكم فارس والرُّوم، أيُّ قوم أنتم؟ قال عبد الرَّحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك، تتنافسون، ثمَّ تتحاسدون، ثمَّ تتدابرون، ثمَّ تتباغضون، أو نحو ذلك، ثمَّ تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض"[2].

3. النصيحة، وهي الأداء الصحيح للواجب، وحق الداعية على أخيه، ففي النصيحة سيؤدي واجبه من جهة ويستمع إلى وجهة نظر الطرف الآخر من جهة أخرى، كما أنه سيطلع على الأسباب الحقيقة وراء التغيير، وقد قيل إنك لا تعرف خطأ شيخك حتى تجالس غيره، يقول النبي ﷺ: "إنما الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم".

---

[1] رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، حديث (3983)؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث.(2494)

[2] النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الرقاق، باب التواضع، [105/8]، ح6502.

المطلب الثاني: أمثلة من حياة الصحابة

هذا وقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في اختيار أفضل الطرق للتأثير في أصدقائهم من المشركين، فكيف بالمؤمنين، فهذا عمير بن وهب الذي قرر قتل النبي –صلى الله عليه وسلم– بالاتفاق السري مع صفوان بن أمية، وأمنه أولاده وديونه عندما أسلم في قصته الشهيرة، ثم عاد إلى مكة المكرمة ليعلن صفوان خصومته، ويقرر أن لا يكلمه أبدا وأن يهدم دعوته، لكن وهب رغم عداوة صفوان كان حريصا على إسلام صاحبه، ويفكر دائما في أقصر الطرق للوصول إلى قلبه، ويوم فتح مكة هرب صفوان فانتهزها عمير فرصة ليبذل موقفا نبيلا لصفوان، فلعل ذلك يؤثر في قلبه، فبينما كان صفوان في طريق الهروب؛ جعل يقول لغلامه يسار –وليس معه غيره–: ويحك! أُنظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعمير؟ والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر محمدًا عليَّ، فلحقه، فقال: يا عمير، ما كفاك ما صنعت بي؟ حملتني دينك وعيالك، ثم جئت تريد قتلي! فقال: أبا وهب، جُعلت فداءك، جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس. وقد كان عمير قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، سيد قومي خرج هاربا ليقذف نفسه في البحر، وخاف ألا تؤمِّنَه فأمِّنْه، فداك أبي وأمي! فقال رسول الله ﷺ: قد أمَّنتُه. فخرج في أثره فقال: إن رسول الله ﷺ قد أمَّنك، فقال صفوان: لا والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله جئت صفوان هاربًا، يريد أن يقتل نفسه؛ فأخبرته بما أمَّنتَه، فقال: لا أرجع حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فقال رسول الله ﷺ: خذ عمامتي، قال :فرجع عمير إليه بها، وهو البُرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذ معتجرًا[1].

[1] الواقدي، **المغازي**، ج2، ص857.

المطلب الثالث: ترك ما لا قيمة له

من الأمور التي تشتِّت الدعاة، وتبعثر أهدافهم، وتطيل أمد النتائج؛ هو اشتغالهم بما لا قيمة له من الكلام والأحداث، ففي مسارح الحياة أشكال متنوعة من المواقف، وآراء مختلفة للناس، تعبر عن طبيعتهم وتشرح رغائبهم وأهوائهم، لكنها لا يجب أن تكون محطة للوقوف بقدر ما هي فرصة لاستجماع قراءة فاحصة للطبيعة البشرية وأحوال المدعويين. وفي بعض الأحيان يجد الدعاة أنفسهم منساقين خلف ركاب الجمهور بقصد الحصول على أكبر عدد من المتابعات أو التأييد، ويحسبون أن ذلك في صالح الدعوة، ويظنون أن العزلة عن المجتمع وهمومه في زمن الانفتاح الإلكتروني يعني غياب المشاركة والتأثير. لكن هذا في كثير من الأحيان يتم من دون تفكير أو تخطيط، أو حساب صحيح للمآلات، وإنما استجابة للانفعال الوجداني، فتنزل شخصية الداعية إلى مستوى مناكفة من لا قيمة لقوله أو سداد لرأيه، فيحدث من جراء ذلك أن يفقد الدعاة رزانتهم، ويعرضوا أنفسهم للسخرية والاستهزاء؛ ومن هنا اعتنت النصوص الشرعية بتوجيه الدعاة إلى عدد من القيم الضرورية للاحتفاظ بالمكانة العلمية، وتقديم متطلبات الجانب الدعوي على حساب الجانب الشخصي، وهي كالآتي:

أ- ترك الحديث فيما لا يعني الداعية، سواء كان لا يعنيه من الناحية العلمية، أو الاجتماعية أو غيرها، فليس من المقبول علميًّا أن يتدخل الإنسان فيما ليس من اختصاصه، فضلًا عن أن ذلك مخالفة للنهي الإلهي: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، كما أن الداعية عندما يتدخل بآرائه في ما ليس ضروريا من جهة، وما ليس متخصصًا فيه، وما لا يملك فيه مفاتيح الحكمة من جهة أخرى سيؤدي إلى الإساءة المباشرة للدين؛ لأن الناس لا تحكم عليه حينئذ من خلال رأيه، إنما من خلال مهمته الدعوية التي يتقلدها، وهو ملحظ خطير لا تكاد تنفك عنه الطبيعة البشرية، فكل منهج فكري

أو تصرف أو سلوك لا تعزله طبيعة الناس عن سياقه الشخصي أو الزمني، إنما يكون محمولا على موضوع واحد وهو الفكر وممثل الفكر، سواء كان ذلك في إطاره التشريعي الإيجابي أو السلبي.

ب- وفيما يتعلق بالإطار التشريعي، وجد المسلمون أنفسهم ابتداء من القرافي أن يكتبوا في تصنيف السنة باعتبارات مختلفة، وتقسيمها إلى سنة خاصة: طبيعة وتشريعية، وإلى سنة عامة، وتنقسم بدورها إلى تصرفات الإمامة والقضاء والتشريع العام، ومع ذلك ظلت بعض الأحاديث مثار جدل إلى اليوم، كتأبير النخل، وترجيل رأس النبي ﷺ، وأمر هند بالأخذ من مال أبي سفيان، وإحياء الأرض الموات.

ج- أما الأحكام السلبية، فقد كان النهي الذي توجه إلى نساء النبي –صلى الله عليه وسلم–، رغم طهارتهم، صارمًا في أمر الطاعة والمعصية؛ لأن مردود ذلك لا يعود عليهن إنما على الدعوة النبوية برمتها، وسيتسبب ذلك في إفشالها: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32]، وهو الأمر الذي أربك الدعوة في حادثة الإفك حتى حار النبي ﷺ ماذا يفعل!

د- لما كان أفضل الأعمال وأحسنها هي الدعوة إلى الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]؛ فإن هذا الحسن يكتمل بترك الداعية الحديث أو التدخل فيما لا يعنيه من تلك الجوانب كلها، يقول النبي ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[1].

وفيما يلي بعض الصفات والمواقف التي يطلب من الداعية أو يتحلى بها:

أ- الإعراض عن اللغو: في طريق الإنسان لغو كثير، لو أعاره الداعية اهتمامه؛ لكانت المسافة القصيرة طويلة، وكانت المكانة المهيبة مهينة، لكن الحكمة هو الضرب صفحًا

[1] الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، [148/4]، ح:2317

عن رغاء الناس، وولعهم بالحديث المشين، وقد أمر الله تعالى الدعاة أن يشيروا بالسلام على الجاهلين، وأن يواصلوا طريقهم دون التفات إلى همس اللغو أو صراخ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا[1]﴾ [الفرقان: 63]، وفي معرض الامتداح للمؤمنين يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3]، وسلوك الإعراض عن اللغو يقطع أطماع المتسلقين، ويفشل خطط المغرضين، فكم حاول المشركون أن يغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم وصبيانهم لينقلوا إليهم مهمة الصراع، ويحتلوا هم مكان المتفرجين، لكن النبي ﷺ كان منتبهًا لذلك، ففي رجوعه من الطائف؛ ظلَّ ماشيًا، رغم الأذى من السفهاء والصبيان، حتى ابتعد عن نطاق المواجهة، وانتهى إلى بستانٍ لبني ربيعة، فأسند ظهره إلى حائطه.

وفي العصر الحديث يبرز للدعاة في شبكات التواصل شخصيات حقيقة وافتراضية، لا تملك من المعرفة نقيرًا، ولا تحسن الفهم ولا التدقيق، فتشغِّب وتسخَر، وتطالب الداعية أن ينزل إلى مستواها، وشخصيات أخرى ترغب في التشكيك والسخرية؛ بقصد هدم أركان الدعوة وطعن التيار الديني، تمامًا كما كان يفعل بنو إسرائيل مع الدعوة الإسلامية في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2] [آل عمران: 72].

ويمكن للداعية أن يحدد موقفه من هذه الشخصيات من خلال الوقوف على بعض القرائن:

أ- لحن القول: يستطيع الإنسان أن يتبين لغة الخطاب من جهة، والقدرة الخطابية من جهة أخرى، ليحدد من هي الشخصية التي يتعامل معها، وقد يأخذ ذلك مع البعض وقتا زمنيا طويلا أو قصيرا حتى يتأكد فعلا من حساباته التقييمية يقول الله تعال: ﴿أَمْ

[1] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 12، ص 106–108.

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، الرياض: دار طيبة، ج 6، ص 120–122.

حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ [29] وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ [30]﴾ [محمد: 29-30].

ب- الانتماء الفكري: هناك شخصيات معروفة سلفا، تتخذ مواقف سيئة من الدعوة والدعاة، فتنظر إلى الدين على أنه نمط راديكالي، وحقبة تاريخية لا تستوعب الحاضر، وأن النموذج الذي يحب أن يسود الحاضر ويعد للمستقبل هو النموذج العلماني كمنهج سياسي، والليبرالي كاختيار فكري، والرأسمالية كنظام مالي، ولذلك تسير جميع مداخلاته أو اعتراضاته في هذا الاتجاه يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾[النساء: 51]، وقد حاول اليهود أن يتلاعبوا بالوعي الثقافي عند المسلمين؛ فيوظفوا اختلاف اللغات لتمرير قدر من السخرية والاستهزاء، فنبَّه الله المسلمين إلى هذه المكر، وأمرهم بإهمال المصطلح، حتى لو كان معناه مختلفًا عن مرادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] [البقرة: 104].

ج- المزاح طبيعة بشرية تنفس الكروب والهموم وتفتح مسامات القلب لاستقبال فوائد المرح، وقد امتن الله على عباده بنعمة الضحك والبكاء، يعبر الأول عن السرور فيمرح القلب ويرتاح، ويعبر الثاني عن الحزن فتهدأ النفس، وتستخرج بالدموع حزنا لو بقي لأهلكها: "وأنه أضحك وأبكى" لكن الخروج عن الجانب الطبيعي في الإثنين يعني الهبوط بقيمة الإنسان والنزول بمكانته بين الناس، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على أن تأطير مزاحه بصفتين:

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 5، ص 70–72؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 10، ص 90–92؛ الطبري، **جامع البيان**، ج 2، ص 461–463؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 2، ص 58–60؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 1، ص 437–439.

أ- الصدق: لا يقول إلا صدقًا، وإن بدا أنه مزاح، فقد قال لامرأة عجوز: لا تدخل الجنة عجوز! قال الحسن رضي الله عنه: فولت العجوز وهي تبكي، فقال رسول الله ﷺ: أخبروها: ليست يومئذ بعجوز، وأنها يومئذ شابة. إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ [الواقعة: 35][1].

ب- التقليل من المزاح، وقصر الدائرة فيه على المحيطين الثقات، وليس عند العامة والجماهير، وفي ذلك كفاية لحصول النفس على حصتها من المزاح وتجديد نشاطها وتمرين القلب بالمرح. وفي الحديث عن أنس ﷺ "كان رسول الله ﷺ فيه دعابة قليلة"[2].

ولا بد من التفريق بين المزاح والابتسام؛ لأن الخير مطلوب باستمرار وهو من الأعمال الصالحة، يقول النبي ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك صدقة"[3]، وهي إحدى لغات الجسد شديدة التأثير في المخاطب، لا ينبغي أن تفارق الداعية لأنها مفتاح الدخول إلى القلوب، وراية السلام التي تفح الأبواب، ومتى ما كان الداعية كثير التبسم منبسط الوجه كان قبوله عند الناس أسرع، وانشراح الصدور إليه أبلغ. وقد كان النبي ﷺ كثير التبسُّم، وكان يضحك أحيانا حتى تبدو نواجذه، يقول جرير بن عبد الله البجلي ﷺ يقول: "ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي"[4]، وعن عبد الله بن الحارث ﷺ: "ما رأيت أحدا أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ"[5]. وقد يظن بعض الدعاة خطأ أن ترك الابتسامة في وجوه

---

[1] رواه البيهقي في **شعب الإيمان** (342/7، حديث 10803)، والطبراني في **المعجم الأوسط** (302/8، حديث 8648)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات (مجمع الزوائد، 419/10).

[2] انظر: الترمذي، **الشمائل المحمدية**، باب ما جاء في وصف مزاح رسول الله ﷺ، حديث (239)؛ الترمذي، **سنن الترمذي**، المناقب، حديث (3641)؛ البخاري، **صحيح البخاري**، الأدب، حديث.(6129)

[3] رواه الترمذي في **سنن الترمذي**، كتاب البر والصلة، حديث (1956)، وقال: حسن غريب؛ وأحمد في **المسند**، حديث (21332)؛ والبخاري في **الأدب المفرد**، حديث.(891)

[4] أبو محمد البغوي، **الأنوار في شمائل المختار**، ص247.

[5] رواه الترمذي في **سنن الترمذي**، كتاب المناقب، حديث (3641) وقال: حسن غريب؛ والدارمي في **سنن الدارمي**، المقدمة، حديث (15)؛ والترمذي في **الشمائل المحمدية**، حديث.(239)

أصحاب المنكرات نوع من الحزم، وتعبير عن الإنكار؛ لأن الابتسامة وفق رؤيته رضى بما يصنع، فلا بد من التجهم في وجهه وإظهار الضيق به، وليس هذا من هدي النبي ﷺ، فقد كان يبتسم في وجه كل أحد ليعبر عن خلقه الأصيل، وليفتح بذلك القلوب المغلقة حتى يعبر إليها وهي متهيئة لاستقباله؛ دليل ذلك حديث فضالة بن عمير الليثي عندما قال : "قدمت على النبي ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، وكنت أريد قتله، فلما اقتربت من الرسول ﷺ قال لي: أفضالة؟ قلت: نعم، فضالة يا رسول الله، قال : ماذا كنت تحدث نفسك؟ قلت: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال لي: استغفر الله، ثم وضع يده على صدري، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه"[1]، وكان ﷺ لا يمتنع عن الابتسامة والضحك حتى في اللحظات التي يتعرض فيها للإساءة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت فضحك، ثم أمر له بعطاء"[2].

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الجولة في سيرة النبي محمد ﷺ، واستقراء صفاته في تبليغ الدعوة؛ يتضح أن الدعوة الإسلامية تستمد صفاءها ونجاحها من دقة الأساليب التي تعامل بها النبي ﷺ مع المدعوين، سواء كان ذلك في سياق الدعوة أو الوعظ والنصائح، وأنها ليست مجرد خطاب موجه، بل هي مشروع متكامل يتطلب شخصية متوازنة، ذات وعي، وخلق، وثبات. وقد أظهر البحث أن نجاح الداعية لا يكمن في البلاغة وحدها، بل في امتلاك منظومة متكاملة من

[1] أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص460

[2] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج3، ص682.

الصفات القيادية والتأهيلية والميدانية والأخلاقية، تستمد جذورها من النموذج النبوي.

إنّ الظروف التي تحيط بالعمل الدعوي في عصرنا، تستلزم يقظة كاملة بالأساليب الحكيمة، ودراية وافية بالهدي النبوي، ليس لأنه جانب تعبدي فقط، بل لأنه اختيار إلهي حكيم، لا يصلح للحياة بجميع تقلباته أو أعصُرها إلا هديه وسنته.

وختامًا، فإن ما قُدّم في هذا البحث ليس إلا محاولة في باب التذكير وإعادة التركيز على ما غفل عنه بعض العاملين في حقل الدعوة، ويظل المجال مفتوحًا للبحث والتحسين والتطوير، خدمة لهذا الدين وبلاغًا لرسالته الخالدة.

وفيما يلي أبرز النتائج المهمة التي خلص إليها البحث:

1. أن القيادة الواعية تمثل العمود الفقري للمنهج الدعوي النبوي، إذ لا تقتصر على الإدارة والتنظيم، بل تقوم أساسًا على تثبيت النفوس، وتحمل المسؤولية، وبناء الثقة، خاصة في أوقات الشدة والأزمات.
2. أن الوعي بسُنن النفس والمجتمع شرط حاسم في التأثير الدعوي، ويتمثل في فهم اختلاف الطبائع، ومراعاة الآثار النفسية للخطاب، وترتيب الأولويات الدعوية وفق واقع المدعوين لا وفق التصورات المجردة.
3. أن الالتزام بالأخلاق الدعوية جزء أصيل من المنهج النبوي، لا ينفصل عن الدفاع عن المبدأ، وأن منطق "الغاية تبرر الوسيلة" يتعارض مع مقاصد الدعوة ويؤدي إلى إفساد أثرها.
4. أن الدعوة النبوية ترفض المنطق الطبقي والانتقائي، ولا تقيس نجاحها بالجاه أو النفوذ الاجتماعي، بل بصدق الاستجابة، مما يجعلها مشروعًا إنسانيًا عادلًا صالحًا لكل زمان ومكان.
5. أن وحدة الصف والموالاة بين المؤمنين من أعظم مقومات الثبات والاستمرار الدعوي، وأن إشاعة العداوة أو الاستجابة للاستفزازات تمثل اختراقًا خطيرًا للمشروع الدعوي.

أن القصص القرآني يؤدي وظيفة قيادية ونفسية مركزية، تتمثل في شحذ العزائم، ومقاومة الانهزام النفسي، وبناء الوعي بالسنن الإلهية، بما ينعكس مباشرة على ثبات الدعاة وتأثيرهم

References: المراجع:

al-ʿArwī, ʿAbd Allāh, *al-Īdiyūlūjiyyā al-ʿArabiyyah al-Muʿāṣirah* (Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1995)

al-Bayhaqī, Aḥmad b. al-Ḥusayn, *al-Ādāb* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st edition, 1990)

al-Bayhaqī, Aḥmad b. al-Ḥusayn, *Shuʿab al-Īmān* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, n.e., n.d.)

al-Bukhārī, Muḥammad b. Ismāʿīl, *al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ*, ed. Muḥammad Zuhayr al-Nāṣir (Beirut: Dār Ṭawq al-Najāh, 1st edition, 2001)

al-Jābirī, Muḥammad ʿĀbid, *Naqd al-ʿAql al-Gharbī* (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-ʿArabiyyah, 1995)

al-Nadwī, Abū al-Ḥasan ʿAlī al-Ḥasanī, *al-Sīrah al-Nabawiyyah* (Damascus: Dār Ibn Kathīr, 3rd edition, 2001)

al-Qurṭubī, Muḥammad b. Aḥmad, *al-Jāmiʿ li Aḥkām al-Qurʾān* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, n.e., n.d.)

al-Rāzī, Fakhr al-Dīn, *Mafātīḥ al-Ghayb* (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, n.e., n.d.)

al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān b. Nāṣir, *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān* (Riyadh: Dār al-Salām, n.e., n.d.)

al-Shaʿrāwī, Muḥammad Mutawallī, *Khawāṭir fī Tafsīr al-Qurʾān* (Cairo: Akhbār al-Yawm, n.e., n.d.)

al-Ṭabarī, Muḥammad b. Jarīr, *Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān*, ed. Aḥmad Shākir (Cairo: Dār al-Maʿārif, n.e., n.d.)

al-Ṭabarī, Muḥammad b. Jarīr, *Tārīkh al-Umam wa al-Mulūk* (Beirut: Dār al-Turāth, n.e., n.d.)

al-Tirmidhī, Muḥammad b. ʿĪsā, *al-Jāmiʿ (Sunan al-Tirmidhī)*, ed. Bashshār ʿAwwād Maʿrūf (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1st edition, 1998)

al-Tirmidhī, Muḥammad b. ʿĪsā, *al-Shamāʾil al-Muḥammadiyyah*, ed. ʿAbd al-Razzāq al-Mahdī (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, n.e., n.d.)

al-Wāḥidī, ʿAlī b. Aḥmad, *Asbāb al-Nuzūl* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st edition, 1991)

al-Wāqidī, Muḥammad b. ʿUmar, *Maghāzī al-Wāqidī* (Beirut: Dār al-Aʿlamī, n.e., n.d.)

Bishārah, ʿAzmī, *al-Masʾalah al-ʿArabiyyah* (Beirut: al-Markaz al-ʿArabī li al-Abḥāth wa Dirāsat al-Siyāsāt, 2012)

Bishārah, ʿAzmī, *al-Mujtamaʿ al-Madanī: Dirāsah Naqdiyyah* (Beirut: al-Markaz al-ʿArabī li al-Abḥāth wa Dirāsat al-Siyāsāt, 2012)

Covey, Stephen R., *The 7 Habits of Highly Effective People* (New York: Free Press, 2004)

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* (Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah li al-Nashr, n.e., n.d.)

Ibn Hishām, ʿAbd al-Malik b. Hishām, *al-Sīrah al-Nabawiyyah*, ed. Muṣṭafā al-Saqqā et al. (Cairo: Sharikat Maktabat wa Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa Awlādih, 2nd edition, 1955)

Ibn Kathīr, Ismāʿīl b. ʿUmar, *al-Bidāyah wa al-Nihāyah* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, n.e., n.d.)

Ibn Kathīr, Ismāʿīl b. ʿUmar, *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st edition, 1998)

Lang, Jeffrey, *Ḍiyāʿ Dīnī: Nidāʾ Istighāthah*, trans. Fāṭimah Nāṣir (Beirut: Dār al-Fikr al-Muʿāṣir, 1st edition, 2006)

Makāwī, ʿAbd al-Ghaffār, *Limādhā al-Falsafah?* (Beirut: Dār al-Ṭalīʿah, 2021)

Obama, Barack, *National Security Strategy of the United States of America* (Washington, DC: The White House, 2015)

Rosanvallon, Pierre, *Qarn min al-Shaʿbawiyyah: al-Tārīkh wa al-Naẓariyyah wa al-Naqd*, trans. Muḥammad al-Raḥmūnī, rev. Jān Jabbūr (Beirut: al-Markaz al-ʿArabī li al-Abḥāth wa Dirāsat al-Siyāsāt, 2022)

Rousseau, Jean-Jacques, *al-Iʿtirāfāt*, trans. George Zaynātī (Beirut: Dār al-Tanwīr, 2017)

Saʿīd, Edward, *al-Istishrāq* (Beirut: Dār al-Ādāb, 1st edition, 1981)

Suhrud, Tridip, *The Forgotten Son of Gandhi: Harilal Gandhi* (Oxford: Oxford University Press, 2015)

Ṭāhā, ʿAbd al-Raḥmān, *Suʾāl al-Akhlāq* (Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1st edition, 2000)

Zakariyyā, Fuʾād, *Nītshih* (Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li al-Kitāb, 2021)

Guidelines to Contributors

At-Tajdid is a refereed journal published twice a year (June and December) by the International Islamic University Malaysia (IIUM). Articles are published based on recommendation by at least two specialized peer reviewers. Submissions must strictly abide by the following rules and terms:

- Be the author's original work. Simultaneous submissions to other journals as well as previous publication thereof in any format (as journal articles or book chapters) are not accepted. (Should this happen, the author is duty bound to refund the honorarium paid to the reviewers.)
- Be between 5000 and 7000 words including the footnotes (articles); book reviews between 1500 and 4000 words; conference reports between 1000 and 2500 words.
- Include a 200-250 abstract both in Arabic and English.
- Cite all biographical information in footnotes when the source is mentioned for the first time (e.g., full name[s] of the author[s], complete title of the source, place of publication, publisher, date of publication, and the specific page[s] being cited). For subsequent citations of the source, list the author's last name, abbreviate the title, and give the relevant page number (s).
- Provide a separate full bibliographical list of all sources cited at the end of the article.
- Qur'anic references (e.g., name of *surah* and number of verse[s]) must be given in the main text immediately after the verse[s] cited as follows: Al-Baqarah: 25).
- Hadith citations must be according to the following format: Al-Bukhāri, Muḥammad ibn Ismā'īl, *al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ* (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1404/1988), "Kitāb al-Zakāh", ḥadīth no. x, vol. y, p. z.
- Titles of Arabic books and encyclopedias as well as names of Arabic journals cited must be in **bold characters**. Counterparts of all these in English and other non-Arabic languages using Latin script must be *italicized*. Titles of journal articles, encyclopedia entries, and chapters in collective books in any language must be put between inverted commas ("….").
- Traditional Arabic should be used for main text (16 points) and footnotes (12 points) of articles/book reviews and conference reports. Simplified Arabic must be used for main title (20 points) and subtitles (18 points).
- Include a cover sheet with author's full name, current university or professional affiliation, mailing address, phone/fax number (s), and current e-mail address. Provide a two-sentence biography.
- The editor and editorial Board retain the right to return material accepted for publication to the author for any changes, stylistic and otherwise, deemed necessary to preserve the quality standard of the journal.
- Submissions should be saved in Rich Text Format (RTF) and sent to https: //journals.iium.edu.my/at-tajdid/index.php/tajdid/dd:

At-Tajdid

A Refereed Intellectual Biannual
Published by International Islamic University Malaysia

Volume 30 January 2026 / Sha'ban 1447 Issue No. 59

Editor-in-Chief
Prof. Dr. Rahmah Ahmad H. Osman

Editor
Dr. Muntaha Artalim Zaim

Associate Editor
Dr. Nursafira Binti Ahmad Safian
Dr. Muhammad Anwar Bin Ahmad

Language Assessor
Dr. Abdulrahman Alosman

Editorial Boards

Prof. Dr. Ahmed Ibrahim Abu Shouk
Prof. Datin Dr. Rusni Hassan
Prof. Dr. Mohamad Akram Laldin
Prof. Dr. Yumna Tarif Khuli
Prof. Dr. Asem Shehadah Ali
Prof. Dr. Fuad Abdul Muttalib
Prof. Dr. Mehmet Ozsenel
Prof. Dr. Ali S. Shayea
Prof. Dr. Akmal Khuzairy Abd. Rahman
Prof. Dr. Ahmed Ragheb Ahmed Mahmoud
Assoc. Prof. Dr. Abdulrahman Helali
Dr. Abdulrahman Alhaj
Dr. Marwa Fikry
Dr. Homam Altabaa

Volume 30, Issue 59, Sha'ban 1447 / January 2026

At-Tajdid

A Refereed Arabic Biannual

Articles

- **The Crime of Offenses Against Public Funds in Islamic Jurisprudence and the Applicable Law in Palestine** — Salim Ali Rjoub, Sameer M Awawde
- **Ibn al-Subkī's Additions and Divergences in *"Jamʿ al-Jawāmiʿ"* from al-Bayḍāwī's *"Minhāj al-Wuṣūl"* in Issues Concerning the Imperative *(al-Amr)*** — Idris Ahmed Salim Al-Maini, Muhammad Said bin Khalil Al-Mujahed
- **Leadership and Awareness in the Prophetic Daʿwah Methodology: A Study of the Components of Contemporary Daʿwah Influence** — Saif Salim Saif Alhadi
- **The Purposes of Fatwa: A Study of Terminology, Foundations, Guidelines, and Applications in Contemporary Banking Developments** — Mohammad Abdullah Rashed Al-Bathali
- **The Objections of Hārūn ibn Mūsā al-Qurṭubī (d. 401 AH) to al-Mubarrid (d. 285 AH) in His Critiques of Sībawayh (d. 180 AH): A Presentation and Analysis** — Muhannad O. H. Rannah
- **Applications of the Subjective Criterion in the Theory of Abuse of Rights under the Jordanian Civil Code: A Presentation and Analysis** — Yasmeen Mohammad Khaled Mansour
- **Employing Qurʾanic Stylistic Conventions in the Interpretation of Verses according to Taha Jaber Al-Alwani** — Tugba Yildizbakan, Ziad al-Daghamin
- **ʿAbd al-Ḥusayn al-ʿUbaydī and His Position on Ṣaḥīḥ al-Bukhārī in the Book: *"Jawlah fī Ṣaḥīḥ al-Bukhārī: Ḥiwār bayna al-Naql wa al-ʾAql"*: An Analytical and Evaluative Study of Hadiths Accused of Being Fantastical Tales** — Adi Hazmi Mohd Rusli
- **The Methodology of Reform in the Missions of the Prophets in Confronting Corruption: A Qur'anic Analytical Study** — Zobair Sultan

ISSN 1823-1926

9 771823 192005

International Islamic University Malaysia